ثمن المعجزة

توجّهت الطفلة ذات السادسة من عمرها إلى غرفة نومها، وتناولت حصالة نقودها من مخبئها السري في خزانتها، ثم أفرغت ما فيها على الأرض، وأخذت تعدّ بعناية ما جمعته من نقود خلال الأسابيع الفائتة، ثم أعادت عدّها ثانية، فثالثة، ثم همست في سرها: «إنها بالتأكيد كافية، ولا مجال لأي خطأ»، وبكل عناية أرجعت النقود إلى الحصالة، ثم لبست رداءها، وتسللت من الباب الخلفي، متجهة إلى الصيدلية التي لا تبعد كثيرًا عن دارها. كان الصيدلي مشغولًا للغاية، فانتظرته صابرة، ولكنه استمر منشغلًا عنها، فحاولت لفت نظره، ولكن دون جدوى، فما كان منها بعد أن يئست إلا أن أخرجت قطعة نقود معدنية بقيمة ربع دولار من الحصالة، فألقتها فوق زجاج الطاولة التي يقف وراءها الصيدلي؛ عندئذ فقط انتبه إليها.

فسألها بصوت عبر فيه عن استيائه: ماذا تريدين أيتها الطفلة؟ إنني أتكلم مع شقيقي القادم من شيكاغو، الذي لم أَرَه منذ زمن طويل، فأجابته بحدة، مظهرة بدورها انزعاجها من سلوكه: شقيقي الصغير مريض جدًّا، وفي حاجة إلى دواء اسمه (معجزة)، وأريد أن أشتري له هذا الدواء. أجابها الصيدلي بشيء من الدهشة: عفوًا، ماذا

قلتِ؟ فاستأنفت كلامهـا، قائلة بكل جدية: شقيقي الصغير أنـدرو، يشكـو، ولديه مشكلـة في غاية السوء، يقـول والدي: إن هنـاك ورمًـا في رأسـه، لا ينقـذه منه سـوى معجزة، هل فهمتني؟ فكم ثمن (معجـزة)؟ أرجوك أفدني حالًا! أجابها الصيـدلي مغيرًا لهجته إلـى أسلوب أكثر نعومـة: أنا آسف، فأنـا لا أبيع (معجـزة) في صيدليتي! أجابتـه الطفلة ملحِّة: اسمعني جيدًا، فأنا معـي ما يكفي من النقود لشراء الدواء، فقط قل لي: كم الثمن!

كان شقيق الصيدلي يصغي للحديث، فتقدم من الطفلة سائلًا: مـا نوع (معجزة) التي يحتاج إليهـا شقيقك أندرو؟ أجابته الفتاة بعينين مغرورقتين: لا أدري، ولكن كل ما أعرفه أن شقيقـي حقيقة مريض جدًّا، قالت أمي: إنه في حاجة إلى عمليـة جراحية، ولكن أبي أجابها، إنـه لا يملك نقودًا تغطي هـذه العملية؛ لذا قـررت أن أستخدم نقـودي! سألها شقيق الصيـدلي مبديًا اهتمامه: كم لديك مـن النقود يا صغيرة؟ فأجابتـه مزهوَّة: دولار واحد وأحد عشـر سنتًا، ويمكنني أن أجمـع المزيد إذا احتجـت إلى ذلك! أجابهـا مبتسمًا: يا لها مـن مصادفة، دولار وأحـد عشر سنتًا، هـي بالضبط المبلغ المطلـوب ثمنًا لـ (معجزة) مـن أجل شقيقـك الصغير، ثم تناول منها المبلغ بيـد وباليد الأخرى أمسك يدها الصغيرة،

طالبًـا منهـا أن تقوده إلى دارها؛ ليقابـل والديها، وقال لها: أريد رؤية شقيقك أيضًا.

لقـد كان ذلـك الرجل هو الدكتـور كارلـتن أرمسترنغ، جـراح الأعصـاب المعـروف. وقـد أجـرى الدكتـور كارلتن العمليـة للطفل أندرو مجانًـا، وكانت عمليـة ناجحة، تعافى بعدهـا أندرو تمامًا بعد بضعة أيام، جلس الوالدان يتحدثان عـن تسلسل الأحـداث منذ التعـرف إلى الدكتـور كارلتون، وحتـى نجاح العملية وعودة أندرو إلـى حالته الطبيعية، كانا يتحدثـان، وقد غمرتهمـا السعادة، وقالـت الوالدة في سياق الحديـث: حقًّـا، إنها معجـزة! ثم تساءلت: تـرى كم كلفت هذه العملية؟ رسمت الطفلـة على شفتيها ابتسامة عريضة، فهـي تعلم وحدها أن (معجزة) كلفت بالضبط دولارًا واحدًا وأحد عشر سنتًا.

خاطرة: عندما يكون حـب الآخرين صادقًا ونابعًا من القلب، عندها ستكون المعجزة، ولن تكلف الكثير.

حقيقة: للموتِ فينا سهامٌ وهيَ صائبةٌ

مَنْ فاتَه اليومَ سهمٌ لم يفتْه غَدا